موقف العراق من القضية الفلسطينية (1920–2024)

بنين سعد صافي

الجامعة المستنصرية، كلية العلوم السياسية، العراق

المستخلص

يتناول هذا البحث موقف العراق من القضية الفلسطينية خلال المدة الممتدة من عام 1920 إلى عام 2024، من خلال تتبع أبرز صور الدعم السياسي والدبلوماسي والعسكري والإنساني التي قدمها العراق لفلسطين في المراحل التاريخية المختلفة. وينطلق البحث من فرضية مفادها أن الموقف العراقي، على الرغم من تغير الأنظمة السياسية والظروف الداخلية والإقليمية، ظل في مجمله منحازًا إلى عدالة القضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في التحرر وإقامة دولته المستقلة. وقد اعتمد البحث المنهج التاريخي التحليلي عبر قراءة تطور الموقف العراقي منذ العهد الملكي مرورًا بالعهد الجمهوري ثم مرحلة ما بعد عام 2003 وصولًا إلى سياق طوفان الأقصى. وخلص البحث إلى أن العراق حافظ على حضور واضح في دعم القضية الفلسطينية، إلا أن طبيعة هذا الدعم ومستوياته اختلفت تبعًا للتحولات الداخلية والتوازنات الإقليمية والدولية. كما أظهر البحث أن البعد الشعبي ظل ركيزة أساسية في استمرار هذا الموقف، حتى عندما تراجعت أدوات التأثير الرسمية.

الكلمات المفتاحية: العراق، فلسطين، السياسة الخارجية، طوفان الأقصى، الدعم العربي.

Iraq’s Position on the Palestinian Cause (1920–2024)

Baneen Saad Safi
Mustansiriyah University
College of Political Science, Iraq

Abstract

This study examines Iraq’s position on the Palestinian cause from 1920 to 2024 by tracing the main forms of political, diplomatic, military, and humanitarian support provided by Iraq across different historical stages. The study is based on the assumption that the Iraqi position, despite changes in political regimes and shifting internal and regional conditions, generally remained aligned with the justice of the Palestinian cause and the Palestinian people’s right to liberation and statehood. Using a historical-analytical approach, the paper follows the evolution of this position from the monarchical era through the republican period and the post-2003 stage up to the context of Al-Aqsa Flood. The study concludes that Iraq maintained a visible commitment to supporting the Palestinian cause, although the nature and level of this support varied according to domestic transformations and regional and international balances. It also shows that popular solidarity remained a key pillar in sustaining this position even when official instruments of influence declined.

Keywords : Iraq, Palestine, Foreign Policy, Al-Aqsa Flood, Arab Support.

المقدمة

حازت القضية الفلسطينية منذ نشوئها على اهتمام الشعب العراقي، الذي كان موقفهُ بمختلف أحزابهِ السياسية وجمعياتهِ وصحفهِ ومنتدياتهِ مسانداً لها، وداعمًا لحقِ الشعب الفلسطيني في الدفاع عن أرضه، وحماية مقدسات المسلمين في القدس، والوقوف بوجهِ المؤامرات الصهيونية لاغتصاب فلسطين. وقد سعى العراق حثيثًا للتصدي للخطر الصهيوني في فلسطين، وعملَ ما يستطيع رسميًا وشعبيًا خلال العهود الاولى الى وقتنا هذا للقيام بواجبهِ تجاه القضية على الرغم من الحكومات المتعاقبة إلا أنهُ لم تؤثر هذه على مجملِ الصورةِ العامةِ الإيجابيةِ للدعم العراقي لفلسطين، والتصدي للأخطار الصهيونية.

المحور الأول: مرحلة ما قبل ١٩٤٨

المحور الثاني: حرب ١٩٤٨

المحور الثالث: الخمسينيات والستينيات

المحور الرابع: ١٩٧٠–٢٠٠٣

المحور الخامس: بعد عام ٢٠٠٣ وطوفان الأقصى

المحور الأول: مرحلة ما قبل ١٩٤٨

شهدت سنوات الثلاثينيات والأربعينيات الميلادية من القرن الماضي حراكًا جماهيريًا عراقيًا كبيرًا واهتمامًا على المستويين الشعبي والرسمي بتطورات الأحداث في فلسطين[1]، **ويمكننا هنا إيراد أهم المواقف والجهود السياسية وغيرها المبذولة في هذا العهد، كما يأتي:**

1- سعى الجهد السياسي الحكومي للعمل من أجل منع صدور أي قرار يسعى إلى تقسيم فلسطين أو النيل من حقوقها، من خلال جهوده في الأمم المتحدة، وتأثيره على الدول الأعضاء ودعمه للقرارات التي تؤيد الفلسطينيين وتمنحهم الحق في أرضهم، إلا أن الضغوط الأمريكية والبريطانية داخل هذه المنظمة أثبتت مدى انحيازهم للصهاينة ومخالفتهم للبنود التي تنص عليها مواثيق هذه المنظمة في التحرر والاستقلال وعدم التبعية، فضلًا عن زرعهم لهذا الكيان الغريب في أرضنا العربية؛ فقد كان موقف العراق واضحًا وصريحًا وقويًا تجاه القضية الفلسطينية في منظمة الأمم المتحدة[2]

2- وقد حاول العراق من خلال منظمة الأمم المتحدة الدفاع عن حقوق العرب الفلسطينيين، إذ كرس العراق سياسته الخارجية في دعم القضية الفلسطينية، حيث بين للدول الأعضاء حجم الظلم والحيف الذي وقع على الفلسطينيين في مقابل تفنيد كافة البراهين والدلائل التي قدمها اليهود من أجل تغيير هوية فلسطين، إذ إن الخطابات والكلمات التي ألقاها ممثلو العراق ومندوبوه في تلك المنظمة دحضت كافة الدلائل التي قدمها اليهود والتي كانت في أغلبها تستند إلى حقائق مزيفة لا تمت إلى الحقيقة بأي صلة، إذ إن القرارات التي أصدرتها هذه المنظمة وتحديدًا قرار

إنشاء دولة ((إسرائيل)) تدل على سيطرة الدول الكبرى على مقدرات وأصوات الدول الأعضاء من خلال التأثير عليهم والضغط لإصدار القرارات التي تصب في مصالح هذه الدول، حيث ضغطت الولايات المتحدة وبريطانيا على الدول الأعضاء بالترغيب والترهيب من أجل التصويت على إعلان هذا القرار[3]

3- بعد وفاة الملك فيصل الأول تسنم الحكم ابنه الملك غازي الذي أسس إذاعة خاصة به في قصره الملكي (قصر الزهور)، وأذاع فيها برامج خاصة عن وحدة البلاد العربية وضرورة الوقوف إلى جانب فلسطين التي كانت تتعرض لهجرات واسعة من المستوطنين اليهود من كافة أرجاء العالم، وبعد مقتل الملك غازي بحادث سيارة تسنم الحكم الملك فيصل الثاني (2 مايو 1935 – 14 يوليو 1958م)، وقد قام في (11 آذار 1943م) بزيارة المسجد الأقصى في القدس[4]

4- كانت القضية الفلسطينية من أهم القضايا العربية على الإطلاق التي أولاها أعضاء مجلس النواب ومجلس الأعيان اهتمامًا خاصًا في مناقشاتهم، وكانت جميع الآراء فيهما تنصب على ضرورة مناهضة الصهيونية ومكافحتها بالشكل الذي يؤمن للشعب الفلسطيني حريته والمحافظة على كيانه وأرضه، واستثمار علاقات العراق الدولية من أجل الدفاع عن فلسطين وتحقيق استقلالها وتحريرها من براثن الصهيونية.

5- وكان أول ذكر يرد للقضية الفلسطينية في مجلس الأعيان سنة (١٩٢٩م)، إذ عطلت جلسة المجلس خمس دقائق بمناسبة ذكرى وعد بلفور الجائر، واقترح عضوا المجلس: فخري الجميل وحسن الشبوط، الاحتجاج على هذا الوعد، وقد أرسلت بالفعل برقية احتجاج إلى كل من: رئيس وزراء بريطانيا، وسكرتير عصبة الأمم، ولجنة التحقيق في القدس. وقد وصفت البرقية الوعد بأنه يرمي إلى إمحاء أمة في وطنها ولا يلتئم ومبادئ العدل والإنسانية[5]

6- قرر مجلس الوزراء العراقي في (1945/12/31م) مقاطعة البضائع الصهيونية في اجتماعه الذي خصصه لمناقشة القضية الفلسطينية، فضلًا عن مطالبته باستقلال فلسطين، وأصدر بيانًا دعا فيه جامعة الدول العربية إلى تحمل مسؤوليتها إزاء هذه القضية، وتحميل الحكومتين البريطانية والأمريكية مسؤولية ما آلت إليه الأوضاع في فلسطين، وبوجوب الإعلان في الأمم المتحدة عن استقلال فلسطين[6]

7- التفاعل الشعبي مع قضايا فلسطين، ومتابعة العراقيين لتطورات الأحداث فيها، وبرجال الفكر والثقافة ووسائل الإعلام والجهود الكبيرة للتعريف بالقضية الفلسطينية وتسليط الأضواء عليها، ولقد كان للصحافة أثر كبير في تنمية هذا الاهتمام، وأسهمت في توعية الشعب بما يجري وتحشيد طاقاته لدعم الفلسطينيين[7]

8- احتضان قيادات العمل الوطني المقاوم في فلسطين في العراق؛ فقد كانت بغداد في الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات من القرن الماضي محط رحال عدد كبير من القادة والمجاهدين والضباط والمفكرين والأدباء الفلسطينيين، بحيث بلغ عدد المجاهدين منهم فقط قرابة الـ (200)، وكان الشيخ الحسيني موضع حفاوة كبيرة وثقة واسعة من الساسة والضباط والشباب الوطني، مما مهد الطريق له ليكون موضع سر قادة ثورة مايس عام (1941م)، وأحد داعميها البارزين[8].

9- ويذكر هنا أن قادة ثورة مايس (1941م) من الضباط قد ربطوا مطالبهم بتغيير السياسة العراقية وعلاقتها ببريطانيا قبيل انطلاق الثورة بالقضية الفلسطينية؛ حيث كان لهما مطلبان رئيسان من حكومة (نوري السعيد)، وهما: حمل بريطانيا على إعطاء تعهد بضمان حقوق العرب في فلسطين، وتلهف الضباط إلى تسليح الجيش العراقي. ولما يئسوا من حمل نوري السعيد على إلزام بريطانيا بتحقيق هذين المطلبين، انقطعت علاقاتهم بنوري السعيد وتوجهوا كلية إلى التعاون مع السيد رشيد عالي الكيلاني الذي تولى رئاسة الوزراء في (٣١ آذار 1940م) بعد استقالة وزارة نوري الخامسة في هذا التاريخ.

10- المساهمة في إنشاء جيش الإنقاذ الذي شاركت فيه ثلاثة أفواج عراقية من المتطوعين، أشرفت على تجهيزها وتدريبها ودعمها (جمعية إنقاذ فلسطين)، إضافة إلى مشاركة ثلاثة من الضباط الكبار: طه الهاشمي، وإسماعيل صفوت، ونور الدين محمود، في اللجنة العسكرية للجامعة العربية التي كانت تشرف على مهام جيش الإنقاذ[9]

11- تشكيل الجمعيات واللجان العراقية الداعمة للقضية الفلسطينية على المستويين الإعلامي التعبوي والمادي، ومن أبرزها (جمعية إنقاذ فلسطين) التي أسسها الشيخ العلامة (أمجد الزهاوي) وعدد من العلماء والضباط والمثقفين عام (1947م)، ولجنة الأحزاب العراقية للدفاع عن فلسطين عام (1946م)، وجمعية الدفاع عن فلسطين عام (1946م)، وغيرها[10].

المحور الثاني: حرب ١٩٤٨

أخذت القضية الفلسطينية دورًا خطيرًا وتفاقم أمرها بعد إعلان الصهاينة ما يسمى بـ(دولة إسرائيل) على أرض فلسطين في (١٤ أيار ١٩٤٨م)، فضلًا عن اندلاع الحرب العربية – الصهيونية في (١١ حزيران ١٩٤٨م). وأصدر مجلس الأمن قرارًا ألزم بموجبه الدول العربية بقبول الهدنة وإيقاف القتال في فلسطين، **وفيما يلي أهم الأحداث التي جرت في هذا العهد:**

1. قررت حكومة مزاحم الباججي دعوة اللجنة السياسية التابعة لجامعة الدول العربية إلى الاجتماع في بيروت في منتصف تموز (١٩٤٨م) لبحث موضوع الهدنة.

2. كما شارك بعض المتطوعين العراقيين في هذه المرحلة في معركة كفر قرع، حيث نظم أربعة ضباط منهم وضابطان سوريان آخران المعركة التي خاضها أبناء تلك القرية يوم الثامن من أيار وصدوا فيها هجومًا مركزًا لقوات الهاجاناه أرادت من خلاله الاستيلاء على كفر قرع وممر وادي عارة الإستراتيجي المهم. كما تكبدت قوات المتطوعين العراقيين خسائر كبيرة في الأرواح (17) شهيدًا، في هجوم جيش الإنقاذ الفاشل على مستوطنة مشمار هعيمق وأعمال قتالية أخرى في هذا القطاع.
3. مشاركة الجيش العراقي في معارك سنتي (1947-1948م)، واستبساله في الدفاع عن المدن والبلدات والقرى الفلسطينية التي كان يقاتل فيها.
4. كذلك خاض معركة الطيرة – رامات هكوفيش في الرابع والعشرين من أيار (1948م)، ثم معركة رأس العين الثانية في (1948/5/30م)، ومعركة جنين والمزار في الفترة الواقعة بين (2-4 حزيران)، ومعركة قاقون (قضاء طولكرم) التي وقعت في الخامس من حزيران، فضلًا عن اشتباكات متفرقة شارك فيها الجيش في مناطق: مجدل يابا، وقلقيلية، وطولكرم، وكفر قاسم، وباقة الغربية، وعارة، وفقدت القوة الجوية العراقية خمسة طيارين تم إسقاط طائراتهم ومنهم قائد سرب برتبة عقيد. وبذلك يكون مجموع ما فقدته القوات العراقية وقوات المتطوعين العراقيين في فلسطين (131) شهيدًا، فضلًا عن مئات الجرحى.
5. لقّن الجيش العراقي اليهود دروسًا قاسية في معارك جنين وسواها، ولو كان أمر الجيش العراقي بيده لقدّم لفلسطين أضعاف ما قدّم([11])
6. استضافة عدد من الشخصيات الفلسطينية المهمة بعد حصول النكبة، وتوفير المأوى لها وفسح المجال لها للعمل في العراق، ومن أبرزهم: الشيخ محمد نمر الخطيب مفتي حيفا الذي استقر في العراق في أوائل الخمسينيات.
7. توفير الظروف المعيشية المناسبة للفلسطينيين اللاجئين في العراق بقدر الاستطاعة([12])
8. العناية بالجانب التعليمي ورعاية الطلبة اللاجئين ومنحهم حق التعليم كما العراقيين.

وهكذا استمرت الجهود العراقية الداعمة للقضية الفلسطينية في العهد الملكي حتى منتصف تموز (1958م)، وبداية العهد الجمهوري الأول.

المحور الثالث: الخمسينيات والستينيات

في عام (1958)، كانت مرحلة نهاية العهد الملكي وبداية الحكم الجمهوري في العراق من خلال ما عرف بـ(ثورة 14 تموز)، التي قادها عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف، ودخل العراق بواسطتها في مرحلة أول حكم جمهوري، وتم تعيين الزعيم (العميد الركن) عبد الكريم قاسم قائدًا عامًا للقوات المسلحة، وتعيين (العقيد

الركن) عبد السلام عارف نائبًا للقائد العام، وبعدها أُعلن عن مجلس للسيادة برئاسة الرئيس الفريق محمد نجيب([13])

أُعلن في (آذار/مارس 1960م) عن إنشاء اتحاد وطني فلسطيني باسم (الاتحاد القومي الفلسطيني)، ساعيًا إلى إنشاء تنظيم فلسطيني عسكري يضم الفلسطينيين المقيمين في العراق وقطاع غزة ولبنان ودول الخليج، بقيادة عراقية، لتنظيم عملية التطوع وإلحاق الضباط بالمعاهد العسكرية العراقية([14])

أما ما بُذل من جهود جادة وحقيقية في هذا العهد لنصرة القضية الفلسطينية في مختلف جوانبها، فيمكن إبرازها فيما يأتي:

1- تقديم الحكومة مخصصات مالية للاجئين الفلسطينيين الذين كانوا يعيشون في العراق، فضلًا عن إتاحة الدراسة في المدارس والجامعات ودور المعلمين والمدارس المهنية، والمشاركة في البعثات على نفقة وزارة المعارف.

2- سعي الحكومة لتوفير السكن اللائق للاجئين الفلسطينيين في العراق.

3- تبرع الشعب العراقي بمساعدات مالية مختلفة لجيش التحرير الفلسطيني، والقضية الفلسطينية عامة([1])

4- عقد المؤتمرات واللقاءات لمساندة القضية الفلسطينية، والتعريف بها، والدفاع عن القدس والمسجد الأقصى، ومن أبرزها المؤتمر الإسلامي العام المنعقد في بغداد في المدة (29/أيار-4/حزيران 1962)([2])

5- واصلت القوى السياسية والمجتمعية، وفي مقدمتها العلماء، جهودها لدعم القضية الفلسطينية، على الرغم من الظروف الصعبة التي ألمت بالعمل السياسي عامة والإسلامي منه خاصة وقتها، واضطر بعض كبار مساندي قضية فلسطين في العراق، كالشيخ أمجد الزهاوي، إلى مغادرة العراق، لكنه استمر في جهوده بالتعريف بالقضية الفلسطينية والمشاركة في المؤتمرات والملتقيات التي تعقد من أجلها.

6- في يوم (8 شباط 1963)، قامت ثورة جديدة على إثر حالة الفوضى في الحكم، وقد أكد البيان الأول للثورة أنها قامت من أجل مواصلة مسيرة (ثورة 14 تموز)، وبخاصة في إنجاز هدفين رئيسين، هما: تحقيق وحدة الشعب الوطنية، وتحقيق المشاركة الجماهيرية في توجيه الحكم وإدارته([3]).

7- ثم عرفت حكومة الانقلاب صراعًا بين جناحين داخلها من حزب البعث: معتدل ومتشدد؛ فقام عبد السلام عارف، وهو قومي التوجه، بإبعاد البعثيين المتشددين، وعُيّن في (1963/11/18) أحمد حسن البكر، أحد الضباط البعثيين المعتدلين، نائبًا لرئيس الجمهورية؛ إلا أن التوتر بينهما لم

يختفِ. وتوفي عبد السلام عارف في حادث طائرة في البصرة سنة (1966)، وتولى بعده أخوه عبد الرحمن عارف الحكم في العراق.

في أعقاب ثورة عام (1963) بقي الدعم العراقي للقضية الفلسطينية مستمرًا، بل شهد استقرارًا وتطورًا بعد الأحداث العاصفة في العهد الماضي، **ومن أهم الأحداث لدعم القضية الفلسطينية في هذا العهد:**

1- فتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في بغداد بعد تأسيسها عام (1964)، وكان أول مدير له السيد (داود عودة)، وتشكيل كتيبة عسكرية من الفلسطينيين المقيمين في العراق والشتات، وهي الكتيبة (421) التي سميت قوات القادسية.

2- دعم مراكز التعبئة والتجنيد، التي فتحت في قطاع غزة والعراق وسوريا، واستقبلت المتطوعين من أبناء الشعب الفلسطيني للتدريب على حمل السلاح والانضمام إلى صفوف جيش التحرير[4]

3- تدريب الضباط وأفراد جيش التحرير الفلسطيني؛ فقد أعلن قائد الجيش العراقي، الفريق الركن عبد الرحمن عارف، في (1965/2/12)، عن قبول (60) ضابطًا فلسطينيًا في دورة تدريب خاصة تستمر لمدة ستة أشهر[5]

4- المشاركة في حرب حزيران عام (1967)، التي بادر العراق للمشاركة فيها، لكنها كانت خاطفة وسريعة، بحيث استطاع الكيان الصهيوني أن يثبت أركان دولته في المنطقة بعد هذه الحرب بسبب الضعف العربي والاستهانة بالقدرات العسكرية الصهيونية[6].

5- السماح بفتح مكاتب للفصائل الفلسطينية في بغداد، وهي: حركة فتح، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وجبهة التحرير العربية، والجبهة الديمقراطية، والجبهة الشعبية–القيادة العامة، وجبهة النضال الشعبي الفلسطيني، وجبهة التحرير الفلسطينية (أبو العباس)، وغيرها.

6- منح اللاجئين الفلسطينيين حقوق العمل نفسها التي تمنح للعراقيين، من حيث استلام الراتب والعلاوات السنوية ومخصصات غلاء المعيشة والإجازات والراتب التقاعدي، بحسب قرار صدر سنة (1964) عن وزارة المالية.

7- استقبال موجة جديدة من اللاجئين الفلسطينيين بعد هزيمة (1967) واحتلال منطقتي قطاع غزة والضفة الغربية، وتقديم الدعم والرعاية لهم ومعاملتهم معاملة خاصة، وتوفير فرص العمل لهم، ولا سيما أن العراق كان يعاملهم في موضوع الوظائف معاملة الأجنبي؛ فكانوا يأخذون ضعف راتب المواطن العراقي، وهو أمر شجع كثيرًا من اللاجئين الفلسطينيين على الانتقال إلى العراق وقتها[7]

8- العناية الخاصة بشريحة الطلبة الفلسطينيين بعد عام (1967)، وتوفير السبل المناسبة لهم للدراسة في العراق.

المحور الرابع: ١٩٧٠-٢٠٠٣

قام حزب البعث بالتحالف مع ضباط غير بعثيين بانقلاب أُسقط بواسطته نظام الرئيس عبد الرحمن عارف في (1968/7/17)، وفي يوم الثلاثين من الشهر نفسه طرد حزب البعث من تعاونوا معه في الانقلاب، وعُيّن أحمد حسن البكر رئيسًا لمجلس قيادة الثورة ورئيسًا للجمهورية وقائدًا عامًا للجيش، وأصبح صدام حسين نائبًا لرئيس مجلس قيادة الثورة ومسؤولًا عن الأمن الداخلي، وفي حزيران (1979) أصبح صدام حسين رئيسًا للجمهورية بعد إعفاء البكر من جميع مناصبه[8]

بقيت القضية الفلسطينية محط اهتمام وعناية النظام السياسي في هذا العهد، الذي امتد زمنيًا أكثر من العهود السابقة، إذ استمر قرابة (35) عامًا، فضلًا عن الدعم والتعاطف الشعبي، **ومن أهم الأحداث في دعم القضية الفلسطينية في هذا العهد**[9]:

1- تدريب المقاتلين الفلسطينيين في بغداد؛ فقد تخرجت من العراق ثلاث دورات عسكرية في السنتين (1968-1969م) ضمت نحو (300) متخرجًا، انضموا جميعهم إلى (جبهة التحرير العربية) المدعومة من العراق، وتوجهوا إلى قواعدها في الأردن عام (1969م). وقد اتخذت جبهة التحرير في بغداد مقرًا رئيسيًا لها، واستخدمت معسكرات الجيش العراقي لتدريب مقاتليها، فضلًا عن معسكراتها الخاصة في الأردن وقتها.

2- المشاركة في حرب (تشرين/أكتوبر 1973)، التي لم يكن العراق على دراية بتوقيت نشوبها؛ لأن الحكومتين السورية والمصرية لم تبلغاه بذلك، ومع ذلك، فور إعلان الحرب قرر العراق المشاركة فيها، وقد كانت مشاركة الجيش العراقي في الحرب مهمة وأدى مهام قتالية كبيرة، ولا سيما على الجبهة السورية، واستطاع وقف زحف القوات الصهيونية تجاه دمشق، فيما أبلى الطيارون العراقيون بلاءً حسنًا في معارك الجبهة المصرية بشهادة كثيرين[10]

3- مواصلة تقديم الدعم السياسي للثورة الفلسطينية بكل الوسائل الممكنة، ومنها مساعدة المؤسسات الفلسطينية في التحرك دوليًا، ولا سيما منظمة التحرير الفلسطينية، ومساندة جهودها عربيًا ودوليًا، والوقوف مع القضية الفلسطينية في الصعوبات التي مرت بها، ومنها على سبيل المثال: الأحداث الخطيرة أثناء الحرب الأهلية اللبنانية في السبعينيات، ثم تبني عقد قمة بغداد للدول العربية بعد اتفاقية كامب ديفيد، ودعم المقاومة الفلسطينية أثناء اجتياح لبنان من قبل الكيان الصهيوني عام (1982)، وتعزيز جهود إعادة تشكيل المؤسسات الفلسطينية بعد الخروج من لبنان والاستقرار في تونس.

4- استضافة اللقاءات والفعاليات الفلسطينية في العراق، ودعم نشاطاتها خارجه، ومن ذلك استضافة أعمال اجتماع المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية ببغداد في نهاية نيسان (1986) برئاسة الشيخ عبد الحميد السائح (رئيس المجلس الوطني الفلسطيني) وحضور الرئيس ياسر عرفات (رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية). وقد أشاد المجلس بالدعم الكبير الذي يقدمه العراق لمنظمة التحرير ([11])

5- السماح بتأسيس الأندية والمؤسسات والاتحادات الفلسطينية الطلابية والثقافية والاجتماعية والرياضية؛ لتكون ساحات للعمل الشعبي الفلسطيني، ومنها: اتحاد طلبة فلسطين، واتحاد العمال الفلسطينيين، والاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، والاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، وغيرها، فضلًا عن نادي حيفا الرياضي، ومستوصف الهلال الأحمر الفلسطيني، ومعسكرات الكشافة والأشبال والمرشدات، وغيرها.

6- استقبال وجبة جديدة من اللاجئين الفلسطينيين في العراق بعد الاجتياح الصهيوني للبنان سنة (1982) وخروج منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت.

7- دعم عائلات شهداء الانتفاضة الفلسطينية؛ إذ كان العراق يقدم هدية مادية وكفالة لعائلات شهداء الانتفاضة في الثمانينيات قدرها (25) ألف دولار لكل عائلة شهيد، زيدت فيما بعد إلى (50) ألف دولار.

8- تأسيس المراكز والمؤسسات الداعمة لقضية فلسطين، ومنها مركز الدراسات الفلسطينية في جامعة بغداد، ومجلته العلمية، فضلًا عن الاهتمام الكبير بالدراسات والمؤلفات المعنية بتفاصيل القضية، التي كانت تحظى بعناية واضحة في مختلف الجامعات العراقية ومراكز البحوث والدراسات.

9- منح اللاجئين الفلسطينيين حق التعليم بكل تفصيلاته أسوة بالعراقيين، واستضافة كثير من الطلبة الفلسطينيين للدراسة في الجامعات العراقية مجانًا، وتوفير سبل الدعم المناسبة لهم؛ إذ تخرجت أعداد كبيرة منهم في مختلف الجامعات والتخصصات، وسُمح لهم بفتح فروع لاتحاد طلبة فلسطين في عدد من المحافظات العراقية.

10- منح المرأة الفلسطينية إجازة حق الأمومة أسوة بالمرأة العراقية، فضلًا عن حق التوظيف والتقاعد، وفقًا لقرار صدر سنة (1969)، وتطوير قرارات حق العمل للفلسطينيين نحو مساواة تامة بالموظفين العراقيين: تعيينًا وترقيةً وتقاعدًا.

11- معاملة الفلسطيني المقيم في العراق معاملة العراقي في جميع الحقوق والواجبات عدا الحصول على الجنسية، وفقًا لقرار صدر سنة (2001)([12])

وقد استمر الدعم العراقي للقضية الفلسطينية على الرغم من الحصار الدولي الذي فرض على العراق بعد غزو الكويت سنة (1990)[13] وحتى مرحلة العام (2003)، التي شهدت الغزو الأمريكي للعراق واحتلاله وبداية مرحلة مأساوية في البلاد ما زالت مستمرة. ولم يقتصر هذا الدعم على منظمة التحرير الفلسطينية أو التنظيمات الفلسطينية القريبة من العراق فقط، وإنما شمل أيضًا جهات ومؤسسات أخرى، منها: حركة المقاومة الإسلامية (حماس) بعد انطلاقها وتبنيها الخيار المسلح ضد العدو الصهيوني.

المحور الخامس: بعد عام 2003 وطوفان الأقصى

بعد الغزو الأمريكي للعراق عام 2003 وسقوط النظام السياسي السابق، تراجع الدور العراقي المباشر في الصراع الفلسطيني–الإسرائيلي نتيجة الاضطرابات الداخلية والتحديات الأمنية والسياسية التي واجهتها الدولة العراقية. ومع ذلك، لم يغب الدعم العراقي للقضية الفلسطينية من الخطاب الرسمي؛ إذ استمر العراق في إعلان تأييده للحقوق الفلسطينية ورفضه لسياسات الاحتلال، كما حافظ على موقفه الرافض للتطبيع مع إسرائيل في العديد من المناسبات السياسية والإقليمية. ويمكن القول إن مرحلة ما بعد 2003 اتسمت بانتقال الدعم العراقي من الأبعاد العسكرية المباشرة إلى مستويات سياسية ودبلوماسية وشعبية أكثر وضوحًا، مع بقاء القضية الفلسطينية حاضرة في الوجدان العام العراقي وفي مواقف قوى سياسية ومجتمعية متعددة.

وفي السنوات اللاحقة، شهدت العلاقات العراقية–الفلسطينية مسارًا من إعادة التفعيل على المستوى الرسمي، بالتوازي مع استمرار الحضور الشعبي للقضية الفلسطينية في العراق. ومع اندلا ع أحداث طوفان الأقصى في 7 تشرين الأول/أكتوبر 2023، برزت مواقف عراقية رسمية وشعبية داعمة للفلسطينيين، تمثلت في بيانات الإدانة للعدوان على غزة، والفعاليات التضامنية، والخطاب السياسي المؤكد على حق الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال ونيل حقوقه المشروعة. ويعكس هذا التطور استمرار مركزية القضية الفلسطينية في الوعي السياسي والاجتماعي العراقي، على الرغم من تعقيدات البيئة الداخلية والإقليمية التي تحيط بصنع القرار العراقي.

ومن أهم الأحداث في هذا العهد[14]:

1- بينما يستمر العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة في فلسطين المحتلة، ويفرض حصارًا على المياه والكهرباء والوقود، تتواصل المسيرات الشعبية في العراق المؤيدة لعمليات المقاومة الفلسطينية ضد الكيان الصهيوني، بعدما أعلن العراق تضامنه وتأييده الكامل للمقاومة الفلسطينية ضد ذلك الكيان المحتل، على المستويين الرسمي والشعبي. وقد شهدت مناطق مختلفة في العاصمة بغداد خروج مسيرات جماهيرية مؤيدة لعملية «طوفان الأقصى»، وأظهرت مقاطع مرئية وصور المواطنين العراقيين وهم ينظمون المسيرات داخل المدن العراقية رافعين الأعلام الفلسطينية، معبرين عن استعدادهم لمؤازرة المقاتلين الفلسطينيين وتقديم مختلف أشكال الدعم والإسناد لهم في حربهم ضد الاحتلال الإسرائيلي.

2- عدّت الحكومة العراقية العمليات العسكرية التي شنتها حركة المقاومة الإسلامية (حماس) ضد الكيان الصهيوني نتيجة طبيعية للقمع المنهج الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني منذ عقود على يد الاحتلال الإسرائيلي.

3- نشطت الدبلوماسية العراقية منذ بدء عملية طوفان الأقصى في تأكيد الموقف العراقي الراسخ في دعم حقوق الشعب الفلسطيني، بالتزامن مع الموقف الشعبي الذي تجلى في التظاهرات التي دعت إليها فعاليات شعبية وسياسية.

4- لا يُستغرب من الموقف العراقي الرسمي والشعبي إزاء العدوان الصهيوني الوحشي على الشعب الفلسطيني في عملية طوفان الأقصى، إذ يُعد من أكثر المواقف العربية تأييدًا للشعب الفلسطيني في مواجهته للاحتلال الصهيوني، إن لم يكن أكثرها تأييدًا على مستوى الدول العربية.

5- إن موقف العراق الراسخ المؤيد للشعب العربي الفلسطيني في طوفان الأقصى لا ينطلق من باب العواطف أو المزايدات السياسية، بل من واقع سياسي تعيشه الدول العربية بدرجات متفاوتة؛ إذ يختلف هذا الواقع من دولة إلى أخرى، مما يجعلها تتفاوت في قوة التأييد والتعاطف والوقوف مع الشعب الفلسطيني، أو ضده أحيانًا.

6- أغلب الدول العربية (الأنظمة) نراها مطبعة مع الكيان الإسرائيلي، وتربطها به علاقات سياسية وأمنية كبيرة، فهي متعاطفة ومؤيدة له أكثر من وقوفها مع أبناء غزة وضحاياها وشهدائها. بينما تشعر شعوب هذه الدول بآلام الشعب الفلسطيني، وتستشعر حجم المجازر المروعة التي يمر بها أطفال ونساء وشيوخ هذا القطاع وهو يتعرض إلى إبادة بشرية قل نظيرها. ويختلف العراق عن تلك الدول العربية؛ فرغم تنوع تشكيلته السياسية وتوجهاته العقائدية والحزبية، فإنه كان منسجمًا تمامًا سياسيًا ودينيًا وشعبيًا في دعم الشعب العربي الفلسطيني.

الخاتمة والاستنتاجات

يتضح من تتبع تطور موقف العراق من القضية الفلسطينية أن هذا الموقف اتسم بدرجة عالية من الاستمرارية التاريخية، على الرغم من اختلاف الأنظمة السياسية وتبدل السياقات الإقليمية والدولية. فقد مثّلت فلسطين قضية مركزية في الوعي السياسي العراقي، وظهرت صور هذا الالتزام في الدعم الدبلوماسي والعسكري والإغاثي والثقافي، وفي احتضان اللاجئين الفلسطينيين والدفاع عن حقوقهم في مراحل متعددة. كما أن مرحلة ما بعد عام 2003، برغم ما شهدته من تراجع في القدرة على التأثير المباشر، لم تُفضِ إلى انقطاع الموقف العراقي، بل أعادت تشكيله ضمن أدوات سياسية وشعبية جديدة. ومن ثمّ، فإن القضية الفلسطينية بقيت أحد الثوابت في الخطاب العراقي العام، بما يعكس تداخل البعد القومي والإنساني والسياسي في مقاربة العراق لهذه القضية.

الاستنتاجات:

1- ثبات الموقف العراقي: على الرغم من التغيرات السياسية الداخلية والخارجية، ظل الموقف العراقي داعمًا للفلسطينيين، ولا سيما فيما يتعلق بحقهم في تقرير المصير وإقامة دولتهم.

2- التأثير الدبلوماسي: على الرغم من التراجع العسكري للعراق، استمر دعمه للقضية الفلسطينية دبلوماسيًا من خلال دعواته المتكررة في المنظمات الإقليمية والدولية لإنهاء الاحتلال ورفضه للتطبيع مع إسرائيل.

3- الدور المستقبلي: في ظل التحولات الجيوسياسية الإقليمية، من الممكن أن يلعب العراق دورًا أكبر في دعم القضية الفلسطينية، خاصة إذا تعافت البلاد من تحدياتها الداخلية، مما سيمكنها من استعادة جزء من دورها القيادي في دعم قضايا العرب المركزية.

موقف العراق من القضية الفلسطينية يبقى مرتبطًا بتوجهات العراق القومية والإسلامية، مما يجعله مناصرًا أساسيًا لحقوق الشعب الفلسطيني في التحرر وإنهاء الاحتلال الإسرائيلي.

المصادر

1- العكيدي، بشار صبحي كاظم. (د.ت). الدعم العراقي للقضية الفلسطينية في المحافل الدولية (1947–1950): منظمة الأمم المتحدة أنموذجًا. مجلة مداد الأدب، قسم الدراسات الاستراتيجية، جامعة الموصل، ص 952.

2- العكيدي، بشار صبحي كاظم. (د.ت). المرجع السابق، ص 940.

3- العكيدي، بشار صبحي كاظم. (د.ت). المرجع السابق، ص 965–966.

4- شريف، طارق إبراهيم. (د.ت). سيرة حياة الملك فيصل الثاني 1935–1958: آخر ملوك العراق، ص 21.

5- القطان، عدنان. (د.ت). مجلس الأعيان العراقي (1925–1958) وموقفه من القضية الفلسطينية (الحلقة الأولى). مركز الرافدين للدراسات الاستراتيجية.

6- القطان، عدنان. (د.ت). المرجع السابق.

7- جبار، عباس عطية. (1987). الثورة الفلسطينية الكبرى (1936–1939) في الوثائق العربية. مجلة المؤرخ العربي، (34)، ص 53.

8- كبها، مصطفى. (د.ت). الجيش العراقي ومساهمته في حرب 1948 بين الحقيقة التاريخية والرواية الشعبية المشوهة. موقع عرب 48.

9- القطان، عدنان. (د.ت). مجلس الأعيان العراقي (1925–1958) وموقفه من القضية الفلسطينية (الحلقة الثانية). مركز الرافدين للدراسات الاستراتيجية.

10- السامرائي، يونس الشيخ إبراهيم. (د.ت). 15 أيار 1948 كارثة فلسطين: المقدمة وتاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري، ص 104.

11- الطنطاوي، عبد الله بن محمود. (د.ت). اللواء الركن محمود شيت خطاب: المجاهد الذي يحمل سيفه في كتبه، ص 119.

12- محمد، عز الدين. (د.ت). اللاجئون الفلسطينيون في العراق، ص 63.

13- الوائلي، علي ناصر. (2005). عبد السلام عارف ودوره السياسي والعسكري حتى عام 1966 [رسالة ماجستير غير منشورة]. الجامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، ص 88–91. وينظر أيضًا: دان، أوريل. العراق في عهد قاسم، ص 52، 57، 60.

14- منظمة التحرير الفلسطينية. (د.ت). الأحزاب والفصائل الفلسطينية؛ واللاجئون الفلسطينيون في العراق، ص 51–53.

15- الجبوري، نصير محمود. (2013، 14 تموز). موقف ثورة 14 تموز من حركات التحرر العربية. ملحق جريدة المدى العراقية.

16- جبارة، تيسير. (د.ت). الحاج محمد أمين الحسيني: دراسة في نشاطاته الإسلامية (1921–1937)، ص 188.

17- حميدي، جعفر عباس، وأحمد، إبراهيم خليل. (د.ت). تاريخ العراق المعاصر، ص 222.

18- الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية. (د.ت). وجيه المدني (1921–1999).

19- منظمة التحرير الفلسطينية. (د.ت). الأحزاب والفصائل الفلسطينية.

20- الفلاحي، حاتم. (د.ت). الجيش العراقي ودوره في حرب حزيران/يونيو 1967. مركز الرافدين للدراسات الاستراتيجية.

21- سخنيني، عصام. (1972، أيلول). الفلسطينيون في العراق. مجلة شؤون فلسطينية، (13)، ص 90.

22- عبد القادر، شامل. (د.ت). أحمد حسن البكر: السيرة السياسية ودوره في تاريخ العراق السياسي الحديث 1914–1983، ص 427. وينظر أيضًا: الزبيدي، حسن لطيف. (د.ت). الموسوعة السياسية العراقية، ص 51–52.

23- الشمري، جاسم. (2022). دور العراق التاريخي في دعم القضية الفلسطينية (1920–2003). مركز الأمة للدراسات والتطوير.

24- الفلاحي، حاتم. (2021، 9 تموز). دور الجيش العراقي في حرب تشرين الأول/أكتوبر 1973 (الحلقة الثانية). مركز الرافدين للدراسات الاستراتيجية. وينظر أيضًا: جيش المهمات الصعبة. (د.ت). دور الجيش العراقي في حرب 1973، ص 9-10.

25- وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية. (د.ت). قرارات المجلس المركزي الفلسطيني (الدورة الثانية).

26- مجلس قيادة الثورة. (2001). القرار رقم (202) لسنة 2001.

27- السهلي، نبيل محمود. (2002، شتاء). اللاجئون الفلسطينيون في العراق: معطيات أساسية. مجلة الدراسات الفلسطينية، (49)، ص 12-13.

28- خلف، معاذ. (د.ت). العراق وعلاقته بالقضية الفلسطينية.

29- الحريري، جاسم يونس. (د.ت). موقف العراق المشرف مع فلسطين.